علامة هؤلاء أنهم يضخمون التوافه ، ويتاجرون بالخلافات ، ويتلمسون للأبرياء العيوب !! إن التدين يوم يفقد طيبة القلب ، ودماثة الأخلاق ، وسعة الخلائق ، يكون لعنة على البلاد والعباد ومرضا ليس له دواء .

العلاج :

إن مخالفة الإنسان للفطرة ظاهرة موجودة منذ القدم... بحكم التكوين الأساسى الذى جبلت عليه كينونته ... وبحكم تنشئته واختلاطه بغيره ، ذلك أنه ربما لا تتساوى درجة امتزاج عناصر المادة — أو نسبتها — فى كل منا ، فيكون لذلك أثره الواضح فى مستوى العواطف والميول ... وأحكام العقل ... الذى يحاول أن يرتفع بالإنسان إلى الدرجة الأعلى ، والمرتبة الأرفع... بينما تحاول المادة أن تنحدر به إلى المستوى الأدنى، وفى ظل هذه المعركة يكون الإبتداع والإنحراف عن جادة الفطرة السوية .

والدين الإسلامى دين أشبه بالإلهامات الفطرية من البواعث الخارجية، وهو نصوص عامة معصومة من الهوى والإنحراف ، حددت للمسلمين مناهج استنبطوها بعد إطالة الفكر والنظر، وساروا على هديها فى بحوثهم كل بحسب ما قدر له من التوفيق ...

شملت هذه المناهج طبيعة الإنسان النفسية ، وطبيعته الحيوانية ، وطبيعته الإنسانية التى نشأت نتيجة اختلاطه بغيره ..

ففى الجانب النفسى نرى القرآن الكريم يذكرنا بالنفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمة ، والنفس المطمئنة ، فيقول سبحانه :

« إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى »(١)، ويقول: «ولا أقسم بالنفس اللوامة »(٢) ويقول : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها »(٣) : ويقول :« يا أيتها النفس المطمئنة »(٤)،وفى القرآن الكريم توجيه للعقل وخطاب القلب والروح ، يسمو بهما إلى أساس الفطرة السوية ، والكمال المنشود .

وطريقة القرآن الكريم فى النظر العقلى قائمةعلى الوضوح، واجتناب الشطط ، ويكفينا فى التدليل على ذلك:

١ — أن القرآن الكريم استخدم طريقة المقايسة الصحيحة، ليحاجج بها من قام بتحريم ما أحل الله — تعالى — تاركاً للعقل النظر ليرجع بذلك إلى الحق،فيقول سبحانه:«ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبؤنى بعلم إن كنتم صادقين ، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم عن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدى القوم الظالمين »(٥)..

لقد رد الله — عز وجل — عليهم زعمهم بهذا الإستفهام الإنكارى من خلال الفروض والإحتمالات الواردة والمناسبة لما يقولون ،

---

(١) سورة يوسف الآية : ٥٣
(٢) سورة القيامة الآية : ٢
(٣) سورة الشمس الآيتان : ٧، ٨
(٤) سورة الفجر الآية : ٢٧
(٥) سورة الأنعام الآيات : ١٤٢ — ١٤٤

وانتهى إلى هذا الحكم العام بأنهم أظلم الناس ، وذلك أن اللفظ عام والعلة الموجبة لهذا الحكم عامة[١] .

وبهذا تبين انتقاض علتهم وفساد قولهم ، ولما لزمتهم الحجة أخذوا فى الافتراء بما لم يقم عليه دليل[٢] .

٢ — أن القرآن الكريم قد عمد فى بيانه إلى أقوال المعاند ، وألزمه بما يقول ، وذلك كما جاء فى قول الله تعالى عن المنافقين الذين قالوا : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »[٣] .

لقد بين القرآن الكريم مازعمه أعداء الإسلام وتوهموه ، حيث قالوا إن العزة بكثرة الأموال والأتباع ، فبين الله — تعالى — أن العزة والمنفعة والقوة لله ، فالأعز هو من أعزه الله بإيمانه ، والاذل من أذله الله وأهدر كرامته بكفره ...

٣ — الاستدلال بطريق التسليم جدلا للوصول بالمعاند إلى النتيجة المترتبة على دعواه ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون »[٤] .

لقد سلم الله — تعالى — لهم جدلا ثم جاء بالنتيجه المترتبة على ذلك، فقال سبحانه . « إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » .

---

(١) مفاتيح الغيب — الرازى — جـ ٦ ص ٩٠٩

(٢) الجامع لاحكام القرآن — القرطبى — جـ ٣ ص ٢٦٣٥

(٣) سورة المنافقون من الآية : ٨

(٤) سورة المؤمنون الآية : ٩١

٤ — الاستدلال بطريق الإنتقال إلى الحجة التى يسلم بها المعاند وإفحامه من خلالها فيقول الله — تعالى — فى محاجة إبراهيم — عليه السلام — « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين »(١) .

٥ — الإستدلال بطريق المناقضة، ويراد : التعليق على المحال ليكون ما علق عليه محالا أيضاً ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين »(٢) .

أما فيما يتعلق بخطاب القرآن الكريم للقلب والروح وطريقته . فقد جاء نتيجة لقصور العقل وتتمة له فى طريق الفهم واستيعاب القضايا ، فمهما بلغ العقل من شأن فإنه لابد وأن يساند بقلب يرى بنور الله — تعالى — وحس خاص يتخطى به صاحبه عقبات الطريق .

ومتى بلغت النفس الإنسانية كمالها الخاص، وسلكت فى ذلك سبيلها إلى الله — تعالى — أضحت عالما عقلياً ، موازيا للعالم الموجود كله : لا ترى إلا الحس المطلق ، والجمال المطلق والخير المطلق ، ولا عجب إن كانت الرؤيا وحياً إيمانياً بالرائى، ففى الحديث : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »(٣) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٨

(٢) سورة الاعراف الآية : ٤٠

(٣) رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — (الجامع الصغير — السيوطى ص١٦٥) .

أما طبيعة الإنسان الحيوانية : فقد حدد الإسلام لها المنهج الصحيح، يقول تعالى مظهراً طبيعته : «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون»(١) ، ويقول سبحانه : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»(٢) لقد أرجع هذا المنهج كل شيء فى هذه الحياة إلى الله — عز وجل — فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، حتى لا يستبد الإنسان بذلك ويفترى على الله ، يقول تعالى : «فلينظر إلى الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً ، وعنباً وقضباً ، وزيتوناً ونخلا ، وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً ، متاعاً لكم ولانعامكم»(٣) .

لقد أوجب الإسلام الإلتزام بما ينفع ولا يضر ، وهذا واضح من خلال قوله : «ولا تعتدوا» فإذا علم الإنسان أن غذاء طبيعته الحيوانية، وكل ما تحتاج إليه مرسومة خطوطه وفق نظام إلهى أساسه العدل لا يظلم ولا يظلم ... أدرك أن أى خروج عن هذا المنهج ليس فى صالحه ، بل هو تدمير له .

أما فيما يتعلق بطبيعته الإنسانية، الممثلة فى تعايشه مع غيره من أفراد جنسه ، ولو كانوا لا يدينون بدينه ، فالإسلام لا ينكر ذلك مؤكداً ضرورة الجماعة، ترجم ذلك فى سلوك عملى النبى — ﷺ — حينما أراد أن يدخل مكة بعد رجوعه من الطائف ... أرسل إلى الأخنس بن شريق : أدخل فى جوارك ؟ فقال : إنى حليف ، والحليف لا يجير ، فبعث إلى

---

(١) سوره الأعراف الآية: ٣٢ (٢) سورة المائدة الآية: ٨٧.

(٣) سورة عبس الآيات : ٢٤ — ٣٢

سهيل بن عمرو فقال: إن بنى عامر لاتجير على بنى كعب، فبعث إلى المطعم ابن عدى فأجابه على ذلك»[1]، «فدخل رسول الله — ﷺ — ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدى على راحلته: يامعشر قريش، إنى قد أجرت محمدا، فلايهجه منكم أحد فانتهى رسول الله — ﷺ — إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته»[2].

إن المطعم بن عدى رجل كافر لايختلف فى ذلك إثنان، ومع هذا استعان به النبى — ﷺ — وأجاره، وانتقل فى مكة تحت حماية السيوف الكافرة ... هذا الموقف الذى أظهره المطعم بن عدى، لم يتركه النبى — ﷺ — سدى، لكنه احتفظ به إلى حينه، ففى غزوة بدر، وقد أسر من قريش سبعين من صناديدهم، نراه يقول: «لو كان المطعم بن عدى حيا لوهبت له هؤلاء ...»[3].

كما نرى أن الإسلام نهى عن السفور من القول الفاحش المسىء للجماعة المسلمة، فيقول سبحانه: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون»[4]، ويقول: «والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون»[5].

وتأكيداً لكل هذه القيم النبيلة نرى أن الله - عز وجل - جعل حق

---

(١) المنهج الحركى للسيرة النبوية — منير الغضبان — جـ ١ ص ١٣٧

(٢) مختصر السيرة لابن عبد الوهاب ص ١٢٥

(٣) المنهج الحركى للسيرة النبوية - الغضبان - جـ ١ ص ١٣٩

(٤) سورة النور الآية: ١٩

(٥) سورة النور الآيتان: ٢٣، ٢٤

الجماعة المؤمنة حقا له ، وأسند ذلك لنفسه ، فقال سبحانه . « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا »[1] .

حينئذ يتعين على الفرد أن يراعى مشاعر غيره من الجماعة ، وأن يعلم أن له دورا مهما يجب عليه أن يؤديه ، ملتزما بتعاليم دينه ، مظهراً عطاءه للجميع غير منكر لهم حيث قال سبحانه : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنـــه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »[2] .

ومن ثم تبين لنا أن الإسلام أدرك طبيعة التكوين الإنسانى ، وكينونته ، فاهتم بجميع جوانبه فى الحياة ، فشرع له المنهاج كاملا معتدلا متوازنا ، موافقا طبيعة تكوينه فى كل زمان ومكان .

الدعوة فقه وقول بالحسنى :

من لم يتفقد آفات الأعمال ، كان جل سعيه ضائعا ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، فيدرك حسن بيان التنزيل ، فيقدم الأهم على المهم مراعيا حال المجتمع ـ الأمة ـ فرداً وجماعة .

بيان ذلك :

روى عن ابن مسعود ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال : « فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب ، فيهون عليهم السفر بلا سبب ، ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار ، وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه »[3] .

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٥٧ ، ٥٨

(٢) سورة التوبة الآية : ٦

(٣) احياء علوم الدين ـــ الغزالى ـــ جـ ٣ صـ ٢٩٧ .

وروى عن أبي نصر التمار : أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث ، وقال : قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء ؟ قال له : كم أعددت للنفقة ؟ قال : ألفي درهم ، قال بشر : أي شيء تريد ... تزهدا ، أو اشتياقا إلى البيت ، أو ابتغاء مرضات الله ! قال : مرضاة الله ، قال : فإن أصبت مرضاة الله يقينا وأنت في بيتك أتفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : أذهب فأعطها عشرة أنفس ، مديون يقضي دينه ، وفقير يرم شعثه ، ومعيل يغني عياله ، ومربى يتيم يفرحه ، وإن قوى قلبك تعطها واحدا ، فأفعل ، فإن إدخالك السرور على قلب مسلم ، وإغاثة اللهفان ، وكشف الضر ، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام . فقال الرجل : يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي ، فتبسم بشر ، وقال : المـــال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات ، اقتضت النفس أن تقضي به وطرا ، فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين[1] .

إن الفتوى لا تستقيم إلا بفهم الواقع ، ثم فهم الواجب[2] ، والفقيه الذي يعتد بفقهه يتعين عليه أن لا يغفل مصالح الناس ، وما يتناسب مع أحوالهم في فتواه ، ومن ثم قال علماؤنا : والفتوى تقدر زمانا ومكانا وشخصا .

فمن لا علم عنده ولا فقه يتعين عليه وجوبا ترك الفتوى ، وإلا يكون مبتدعا مختلقا في الدين ، مضلا للآخرين بفتواه .

والمطلوب من القائم بأمر الدعوة — حينئذ — أن يقف على علاقات الناس بعضهم ببعض في المكان الذي يزاولون فيه مهنتهم ، فإن الحكمة وضع الشيء في موضعه ، وخطاب الناس بما يتناسب ومستواهم .

---

(١) المصدر السابق — نفس الصفحة — .

(٢) اعلام الموقعين — ابن القيم — جـ ١ ص ١٠١

لقد زودنا علم النفس الاجتماعى بمعرفة تلك العلاقات من حيث التأثير والتأثر وبالتالى لابد من بحث :

١ — طبيعة المجتمعات ونوعها .

٢ — الاشتراك الكلى أو الجزئى .

٣ — كيفية ارتباط الأفراد من حيث الوقت والاهتمام .

٤ — صفة الجماعة أولية تعيش معا كالأسرة ، أم ثانوية كالحزب أو غيره .

٥ — درجة التأثر بمعتقدات الجماعة .

٦ — علاقات الأفراد تعاونية تستجيب لمثير مشترك أم تفاعليه يستجيب بعضها لبعض .

٧ — دوامها ومدة بقائها .

طبق هذا المفهوم الذى تعنيه الإمام الشافعى — رضى الله عنه — ، فحينما كان فى العراق أنشأ مذهبا فقهيا ، فلما أتى مصر أنشأ مذهبا آخر ، وأصبحنا نسمع عن رأيه فى المسألة قديما وحديثا : أى حين كان فى العراق ، ولما أصبح فى مصر ، فالإمام واحد ، والفتيا اختلفت باختلاف الزمان والمكان والأشخاص .

إن فهم قضية الدعوة بهذه الدقة المطلوبة يعطى لها مرونة فى الحركة ، فلا يجمد الداعى على تصور الحركة نفسها ، بل يتخطاها ويدرك ماوراءها لقد جالس النبى — ﷺ — المشركين قبل الرسالة فى دار ابن جدعان ، ووافقهم فيما ذهبوا اليه فى هذا العهد « نصرة المظلوم »

---

(١) الدعوة قواعد وأصول — جمعة أمين عبد العزيز — ص ١٠١

وكى يقطع على من يقول : إن هذا كان قبل الإسلام ، نراه يقول — صلى الله عليه وسلم — : « دعيت فى دار ابن جدعان لحلف لو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت » . بهذا الفهم السليم قطع الطريق على كل متعنت ينظر للنصوص نظرة سطحية غير واعية .

لذلك كان فقه الدعوة علماً من العلوم التى يجب على الداعى دراستها ، والاهتمام بها ، ومن المؤسف المحزن أن تسمع بعض الناس يجعلون هذا العلم من البدع ، وليتهم استحسنوا هـــذه البدعة لأنها تيسر للداعى أمره فى الدعوة ... ورداً عليهم نقول : ما تقولون فى علم أصول الدين ، وعلم أصول الفقه ، وعلم الجرح والتعديل . إلخ .

أليس الإمام الشافعى — رضى الله عنه — أول من دون علم أصول الفقه، لقد وضع كتابه «الرسالة» التى أصبحت مرجعاً أساسياً لكل دارس فهل يعد تعلم هـذه بدعة ؟؟

إن الذين يعيشون أمر الدعوة ، ويحيون لها وبها ، يعلمون يقينا أن الإسلام ليس أمراً تعبدياً يتمثل فى الصلاة والزكاة والصيام . إلخ بل يشمل هذا وزيد ، إنه يعنى العلاقات التى تحكم الأفراد ، بل والجماعات، والدارس لحياة الرسول — ﷺ — يعلم كيف كان يدعوا إلى هذا الدين الخاتم ، وكيف كان يأخذ بأيدى الأفراد إلى معالى السلوك ، إنه لم يسلك هذا من فراغ ، بل من فقه يعلم من خلاله بأحوال المدعوين .

وفى ذلك يقول الله تعالى مظهراً سلوكه فى الدعوة : « قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »(١). إنه سلوك قائم على قواعد وتوجيهات موزونة بميزان الفقه وأصوله، ذلك أن

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٨

شريعة الإسلام الخاتمة متجددة على مدى الزمان والأيام ، فلقد أتت بقواعد تشريعية مستنبطة من استقراء النصوص، وأسباب التنزيل، ووقائع الأحداث. فعلى القائم بأمر الدعوة أن يراعى فى دعوته هذه القواعد مستعيناً بها فى دعوته إلى الله — تعالى — كى يكون على بصيرة من أمر دعوته ، وهاهى أهم تلك القواعد :

١ — الأصل فى الأشياء الإباحة ، والتحريم استثناء .

٢ — الاستثناء لا يتوسع فيه ، ولا يقاس عليه .

٣ — الضرورات تبيح المحذورات .

٤ — اليقين لا يزول بالشك .

٥ — ماخير — صلى الله عليه وسلم — بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً .

٦ — لا ضرر ولا ضرار .

٧ — إذا وجدت مفسدتان روعى أشـــدهما ضرراً بارتكاب أخفهما .

٨ — درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٩ — حسن الظن من حسن العبادة .

كما يعلم أيضاً : أن الشريعة كلها إما فرض: يعصى من تركه، وإما حرام: يعصى من فعله، وإما مباح : لا يعصى من فعله ، ولا من تركه، وهذا المباح ينقسم إلى ثلاثة أقسام : إما مندوب إليه يؤجر من فعله ، ولا يعصى من تركه ، وإما مكروه يؤجر من تركه ، ولا يعصى من فعله ، وإما مطلق : لا يؤجر من فعله ولا من تركه ، ولا يعصى من فعله ولا من تركه »[1] .

(١) الورقات فى أصول الفقه — الجوينى ص ٣

كما يتعين على الداعى أن يوجه فكره إلى :

١ — دراسة مشاكل المجتمع .

٢ — وضع الحلول المناسبة لها من نصوص الإسلام بوعى ودراية.

٣ — التحذير من خطورة بقائها .

كما يجب على الداعى أن يكون على حذر من الموانع التى قد تعرض العقل ، وتمنعه من التوصل للحق وذلك :

١ — كعبادة السلف . وتقديس أقوالهم من غير معرفة ظروفها ، والتأمل فيها .

٣ — الاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله »[١] .

٣ — الخوف المهيمن من أصحاب السلطة الدنيوية : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا .وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلوا السبيلا »[٢] .

والحكم المستبد يتسلط على الضمير من خارجه ، ولا يستهويه من باطنه، كما يستهويه حب السلف ، أو القدوة الخادعة ، والاستبداد مشكلة مكانية، والقدوة الخادعة مشكلة عقل وضمير[٣] .

وليعلم كذلك أن كتب السيرة والترجمات قد حوت على كثير من الأخبار قلما تصح ، فعليه أن لا يفتتن بما فيها ، وعليه أن يتحرى ذلك بالطريقة العلمية السليمة التى تتلخص فيما يلى :

١ — التجريد والتجرد : ونعنى بذلك أن ينظر الداعى إلى الواقعة

---

(١) سورة التوبة من الآية : ٣١

(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٦٦، ٦٧

(٣) انظر التفكير فريضة إسلامية — العقاد ص ١٨

مجردة عن غيرها ، حتى لا تختلط عليه الأمور، ويترتب على هذا أن لا يكون له حكم سابق على الواقعة فيستخدمه .

٢ — الملاحظة والتجربة : ومعنى ذلك أن يلاحظ الداعى جميع ما تحتوى عليه الواقعة من موافقات أو تناقضات . ومعنى التجربة : أن يلاحظ ما فى الكتاب المقروء من وقائع هل صدق فيها صاحبها ، أم كذب ، فيتوقف فى قوله حتى يتبين له صدقها من كذبها .

٣ — الموازنة والاستنباط : ومعنى ذلك أن يقوم الداعى بموازنة بين الأخبار المتضاربة ، ثم يقوم بعد ذلك باستخراج ما يراه صواباً بتوفيق الله — تعالى — .

لكن مما يلاحظ على الدعاة ، أنهم يتهاونون فى أمر دعوتهم فيأتون بما يوافق طبائع الناس ، ويثير عواطفهم طلباً لرضاهم ، وسعيا وراء أهوائهم ، وهذا لا يفيد الدعوة ، ولا يخدم الإسلام الذى هو دين الحق الذى لا يقبل إلا ما هو حق وصواب .

كما لا بد للداعى من التخطيط الذى هو التدبير ، والروية والتعقل ، والتخطيط ينافى الاتكال والارتجال ، ويهدف إلى الوصول لما يمكن أن يكون .

ولا بد له — كذلك — من الحرية ، والحرية فى الشريعة الإسلامية تتمثل فى :

١ — حرية التفكير .

٢ — حرية الاعتقاد .

٣ — حرية القول .

فحرية التفكير ترجع إلى فضيلة الإسلام الكبرى ، حيث فتح للمسلمين أبواب المعرفة ، وحثهم على ولوجها والتقدم فيها ، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم ، ويكفينا دلالة على ذلك أن الإسلام جعل التفكير يغنى عن جميع العظات فيقول سبحانه ، قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »(١) .

وحرية الاعتقاد أثبتها القرآن الكريم وجاءت ممثلة فى :

(ا) لا إكراه فى الدين .

(ب) وجوب دفاع صاحب العقيدة عن عقيدته .

أما حرية القول : فمشروطة بعدم العدوان ، وإساءة الاستعمال .

حتى لا يدان الإسلام بسبب التفكير والاعتقاد والقول :

عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — ﷺ — قال « إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين »(٢) .

وفى حديث ابن مسعود عن النبى — ﷺ — قال « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا(٣) ، وهم المتعمقون الغالون فى تدينهم ، شددوا على أنفسهم ، فشدد الله عليهم .

وفى حديث سهل بن حنيف ، عنه — ﷺ — قال : « لا تشددوا على أنفسكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بتشددهم ، وستجدون بقاياهم فى الصوامع والديارات »(٣) .

(١) سورة سبأ من الآية : ٤٦ وانظر الفلسفة القرآنية — العقاد ص ١٣

(٢) رواه أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم .

(٣) رواه أحمد ومسلم ، وأبو داود .

لقد رفض الإسلام بالكلية جميع الإنحرافات ، كما رفض التنطع فى التفكير ، والتغالى فى الدين ، والتشديد فى القول ، والدعوة إلى ذلك باسم الدين ... والدين لا يعرف مثل هذا الغلو ، وهو منه بعيد ، والحديث عندما يكون عن الغلو والإنحراف فى التفكير والاعتقاد ... فإنه لا قيمة لأى بيان أو حكم ما لم يكن مستنداً إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وإلى النصوص والقواعد التشريعية الثابتة ، لا إلى الآراء المجردة والأقوال الضعيفة ، فلا حجة فى قول أحد دون الله ورسوله .

وانطلاقاً من هذا يمكننا إظهار سمات ودلائل هذا الغلو ، والدعوة إلى ذلك باسم الدين ، فما الغلو إذن ، وما دلائله وسماته ؟؟

١ ـ التعصب للرأى :

إن اول دلائل الإنحراف والغلو باسم الدين : هو التعصب للرأى تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود ، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لصالح الخلق ، ولا مقاصد الشرع ولا ظروف العصر ، ولا يفتح نافـــذة للحوار مع الآخرين ، وموازنة ما عنده بما عندهم ، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصح برهانا وأرجح ميزانا .

والعجيب أن من هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد ، ولا يجيز لعلماء العصر المتخصصين منفردين أو مجتمعين أن يجتهدوا فى رأى يخالف ما ذهب إليه .

هذا التعصب يعد انحرافا حقاً ، كأنه يقول لك من حق أن أتكلم ، ومن واجبك أن تسمع ولا تتكلم ، هذا الصنف من الناس لا يمكن أن يلتقى بغيره أبداً .

٢ — التزام التشديد :

من دلائل هذا الغلو - أيضا - التزام التشديد دائماً ، والزام الآخرين به ، والأخذ بالأشد فى بعض المسائل ، وبالأثقل فى بعض الأحوال ... وقد تأتيه الرخصة فيرفضها ، ويعمل بالعزائم ، ويدع التيسير فى الدين . وهذا مناف لقول الله تعالى : «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»(١) ولقول النبى — ﷺ — «إن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه»(١) ، وقوله : «إن الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه»(٢) .

٣ — التشديد فى غير موضعه :

ومما ينكر من التشديد أن يكون فى غير مكانه ، وزمانه ، كأن يكون فى غير دار المسلمين ، وبلاده الأصلية ، أو مع قوم حديثى العهد بالإسلام فهؤلاء يجب التساهل معهم فى المسائل الفرعيـــة ، والأمور الخلافية ، والتركيز على الكليات قبل الجزئيات ، والأصول قبل الفروع ، وتصحيح عقائدهم أولا .

٤ — العنف والخشونة :

من دلائل هذا الغلو وسماته : العنف فى التعامل . والخشونة فى الأسلوب والغلظة فى الدعوة ، خلافا لهدى الله وهدى رسوله — ﷺ — ويكفينا

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٨٥

(١) رواه أحمد ، والبيهقى عن ابن عمر .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ، عن أبى الدرداء ، وواثلة .. وأبى أمامة ، وأنس .

فى الدلالة على ذلك وصف الله لنبيه — ﷺ — بقوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم »[١] وقوله : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »[٢] .

• — سوء الظن بالآخرين:

من دلائل الغلو كذلك : سوء الظن بالناس ، والنظر إليهم بإخفاء حسناتهم ، وإبراز مساويهم ، وهذا مخالف لما جاء فى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا »[٣] : وأصل هذا كله : الغـــرور بالنفس ، والازدراء للغير ، والمسلم الحق لا يغتر بعمله أبداً : ويخشى أن يكون فيه من الدخل والخلل مايحول دون قبوله وهو لا يدرى ، قال تعالى: والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون »[٤] .

ومن كلام ابن عطاء الله : « ربما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول ... وربما قدر عليك المعصية فكانت سببا فى الوصول ، معصية أورثت ذلا وانكساراً، خير من طاعة أورثت عجبا واستكباراً »[٥]

٦ — الوقوع فى الحرام واستباحته :

يبلغ هذا الغلو والانحراف نهايته ، حين يسقط عصمة الآخرين ،

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٨

(٢) سورة آل عمران من الآية : ٥٦

(٣) سورة الحجرات من الآية ١٢

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦٠

(٥) الحكم ابن عطاء الله السكندرى ، ب/١٠ ص١٤٠ ، ١٤١ شرح الشيخ زروق

ويستبيح أموالهم ودماءهم ، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة ، وهذا يمثل قمة الإنحراف الفكرى والعقائدى الذى يجعل صاحبه فى واد ، وسائر الأمة فى واد آخر ، وهذا ما وقع فيه الخوارج فى فجر الإسلام . الذين كانوا أشد الناس تعبدا لله — عز وجل — صياما وقياما وتلاوة للقرآن . . . ولكنهم أتوا من فساد التفكير والاعتقاد ، لا من فساد صلاتهم وتلاوتهم القرآن . . . وأمثال هؤلاء موجودون ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق — ﷺ — نسأل الله تعالى لهم الهداية ، والرجوع إلى أحسن طريق ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد الداعى إلى الحق بالحق وعلى آله وصحبه آمين .

د/ فوزى عبد العظيم رسلان قرد

أهم مرجع البحث

١ ــ القرآن الكريم .
٢ ــ صحيح مسلم ــ الإمام مسلم .
٣ ــ إحيا. علوم الدين ــ الغزالى .
٤ ــ اعلام الموقعين ــ ابن القيم .
٥ ــ الاصل هو الاباحة ــ ابراهيم بشير الغويل
٦ ــ الاغانى ــ لابى فرج الاصفهانى
٧ ــ التفكير فريضه إسلامية ــ العقاد
٨ ــ جامع بيان العلم وفضله ــ ابن عبد البر
٩ ــ الجامع الكبير ــ الإمام السيوطى
١٠ ــ الجامع الصغير ــ الإمام السيوطى
١١ ــ الجامع لاحكام القرآن ــ القرطبى
١٢ ــ الجانب العاطفى من الإسلام ــ الشيخ الغزالى
١٣ ــ الحكم ــ لابن عطاء الله السكندرى
١٤ ــ الدعوة قواعد وأصول ــ جمعه عبد العزيز
١٥ ــ صيد الخاطر ــ ابن الجوزى
١٦ ــ الفلسفة القرآنية ــ العقاد
١٧ ــ مختار الاغانى ــ ابن منظور
١٨ ــ مختصر السيرة ــ ابن عبد الوهاب
١٩ ــ المنهج الحركى للسيرة النبوية ــ الغضبان
٢٠ ــ مفاتيح الغيب ــ الرازى
٢١ ــ الورقات فى أصول الفقه ــ الجوينى